

مقدمة ابن خلدون

للأستاذ محمود أبو رية

كنا نسمر في إحدى الليالي مع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، فكان من حديثه المتعمق الهادى أن العلامة المحقق ساطع الحصري قد ألف كتاباً فريداً جعل موضوعه « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » تلك التي لم تخرج القرائح العربية مثلها ، وفي عبارات عذبة أنشأ الأستاذ الزيات يشيد بفضل هذا العمل الطريف . وقد أثار هذا الحديث المستوعب شوقنا إلى هذا الكتاب ، وزاد هذا الشوق لما قرأنا اليوم مقدمته النفيسة في الرسالة

ولما كان العلامة الحصري قد حدثنا في كتابه « إن جميع طبعات المقدمة التي صدرت عن مطابع القاهرة وبيروت مشوبة بنواقص كثيرة وأغلاط فادحة - وإنها ناقصة - من حيث المتون والفصول معاً » فإني أنشر كلمة لها علاقة بما حققه هذا العالم الجليل وفيها نفع لمن أراد أن يقف على تاريخ هذه المقدمة في صيف سنة ١٩٢٣ قرأت بإحدى المجلات كلمة لأحمد تيمور باشا رحمه الله ذكر فيها أن كل طبعات مقدمة ابن خلدون لا تطابق الأصل الصحيح منها ، وإنه يوجد بمكتبة زكي باشا نسخة خطية من هذه المقدمة صححها المؤلف بقلمه فسرت بهذا النبأ وتوجهت باستفهام إلى زكي باشا على جريدة المحروسة عما نشره تيمور باشا ، وكان ذلك في ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٣ فأجاب رحمه الله بيبض مقالات علي هذه الجريدة تكلم فيها عن طرف من تاريخ ابن خلدون ومقدمته . وأنا لا أعرض إلا لما قاله عن هذه المقدمة النفيسة ، وفيه العلاج لما نحن بسبيل الكلام فيه اليوم .

ذكر رحمه الله أن هذه المقدمة الفريدة قد ظل أمرها مهملاً خمسة قرون كاملة ، فقد تم تأليفها في سنة ٧٧٥ هـ ، ولم تظهر إلا في

سنة ١٢٧٤ هـ : سنة ١٨٥٧ م^(١) . وكان أول من عثر على هذا الكنز رجل نمساوي اسمه آسربي ، فقد وقف في دار كتب (: بانه) عاصمة النمسا على نسخة مخطوطة من هذه المقدمة ، نقل كثيراً من فصولها ، وترجمها إلى اللغة الطليانية ، ثم نشرها مع بعض ملاحظات وتعليقات في المجلة المعروفة باسم الخزانة الطليانية فكانت أبحاثه مدعاة لتنبه علماء أوربة إلى العناية بهذا الأثر العربي الكريم « ولما جاء المسيو آسربي إلى مصر فتمتصلاً لدواته لدى محمد علي باشا كان مما عمله أن حفص محمد علي باشا على الانتفاع بهذا الكتاب وطبعه فترجم إلى اللغة التركية وطبع بمطبعة بولاق وكذلك طبع الأصل العربي منها

وفي الوقت الذي طبعت فيه المقدمة في مصر كان العلامة كترمير الفرنسي يطبعها في باريس وقد طبعت هذه المقدمة بالمطبعة الأميرية طبعة ثانية في سنة ١٢٨٤ هـ

وقد ذكر زكي باشا « إنه بعد ما تحقق وجود المسخ والبتر والتشويه والتحريف في جمع ما صدر من الطبقات العربية لمقدمة ابن خلدون آلى على نفسه أن يبحث عن نسخة خطية تكون وافية بالمرام حتى قبض الله له الظفر بها في خزانة المرخوم عاطف افندي بالقسطنطينية » . وهذه النسخة قد صححها ابن خلدون بقلمه ، وذلك أنه لما عاد إلى القاهرة من عند تيمورلنك طائفة التتار رأى النساخين قد شوهوا محاسن مقدمة تاريخه ، فضاعت نفسه وتناول نسخة من التي أصابها المسخ وأقبل عليها بنفسه وتولى تصحيحها بقلمه ، وكان من هذا التصحيح أن حذف بعض الكلمات وطائفة من العبارات ووضع هوامش كثيرة بخطه . فإذا أعوزه المكان أضاف (طيارة) أي جزازة ويلصقها بين الصفحتين ويدل على موضعها دلالة ظاهرة واضحة ، وقد انتقلت هذه النسخة من مصر إلى الآستانة على أثر سقوط مصر بين يدي السلطان سليم سنة ٩٢٢ هـ ، وقد عثر عليها زكي باشا في سنة ١٩١٠ ولم يلبث أن أخذ صورتها الفوتوغرافية وبلغ ما أنفقه

(١) في كتاب الأستاذ عنان أن ذلك كان في سنة ١٨٥٨ م (أوربية)